الخصم، وإثبات صحة الرأي الشخصي دون تقديم براهين عقلانية كافية. أي في غياب تحليل معرفي يقنع الجميع[132].

● إن سيطرة النظرية الإديولوجية المباشرة على رؤية الناقد جعلته غالباً، لا يميز بين عالم الرواية باعتباره معطى فنياً قبل أن يكون تجسيداً للواقع في بنيته العامة ـ وهذا ما أدركته على العكس المناهج السوسيولوجية التي يستخدم الناقد مصطلحاتها ـ وبين أحداث الواقع الفعلي؛ ذلك أن حليم بركات يُقدِّم في روايته «عودة الطائر إلى البحر» صورة تظاهرات تجري في بيروت ترفض الاستسلام، وتؤيد عبد الناصر ولكنها في الوقت نفسه تتحول إلى التحطيم، واستخدام العنف (ص: 70). يشاهد البطل «رمزي الصفدي» هذا العنف فينتقد الجموع (ص: 70, 72)، عندئذ يعلق الناقد بشيء من السخرية على موقف البطل:

«هذا هو رمزي الصفدي، المثقف الذي يريد التغيير على حقيقته، وتلك هي نظرته للناس الذين يريد أن يغير حياتهم، أو يريد أن يغير بهم ولهم الحياة، إنه منفصل عنهم، ينظر إليهم في لحظة حركتهم، كمتوحشين، لا كمدافعين عن قضية ورافضين للاستسلام. وكل همه أن ينجو بسيارته ويعود إلى شقته. ونسأل أنفسنا هل كانت تظاهرات مطالبة عبد الناصر بالعودة عن الاستقالة مجرد أعمال تخريب أم أنها كانت تعبيراً عفوياً من الجماهير عن رفضها للاستسلام والهزيمة وإصرارها على متابعة المعركة؟» (ص: 72).

فالناقد يبني انتقاده الإديولوجي الصريح على مشهد روائي واحد، وينتقل بسرعة إلى دمج هذا المشهد بالواقع الفعلي، فكأن هذه التظاهرات المعروضة في الرواية هي نفسها التظاهرات التي سجلها التاريخ العربي. ولا يلتفت أبداً إلى أن البطل ليس هو فقط **الذي ينظر إلى المتظاهرين باعتبارهم متوحشين ولكن الرواية نفسها تعرضهم أيضاً كذلك، وأن فهم الموقف بكامله يتوقف على معنى ذلك كله بالنسبة للبناء الروائي العام.** ولعل حضور كثير من الأسماء، والأماكن الواقعية: عبد الناصر، بيروت ـ السفارة الخ ـ جعل الناقد لا يشك أبداً في أن ما يجري في الرواية هو بالذات ما يجري في الواقع. وهذا شيء لم يكن النقد السوسيولوجي الذي تجاوز فكرة «الانعكاس» ليقع فيه بعد أن أدخل مفهوم إديولوجيا الكاتب أو مفهوم الرؤية باعتباره وسيطاً بين العالم الموضوعي، والعالم المتخيل.

ونكتفي بالمثالين السابقين عن التدخل الإديولوجي المباشر لدى الناقد ضمن عملية تأويل الروايات المدروسة، علماً بأن هناك أمثلة أخرى يمكن الرجوع إليها في كتابه[133].

---

(132) عبد الله العروي: **مفهوم الإديولوجيا**. المركز الثقافي العربي. ط 1, 1983، ص 9.

(133) **الرواية والواقع**، أنظر على الأخص الصفحات التالية: 58 حيث نجد تدخلاً اديولوجيا مباشراً=